الشخصية Persona

يعتبر مفهوم الشخصية من أكثر مفاهيم علم النفس وعلم الاجتماع تعقدا وتركيبا، إذ أنه يشمل مجموعة الصفات الجسمية والعقلية والانفعالية التي تتفاعل وتتداخل لتكوّن شخصية متكاملة لدى الفرد، في إطار تفاعله مع بيئته الاجتماعية. ولهذا تعددت وتباينت المحاولات التي تعالج مفهوم الشخصية وطبيعتها وخصائصها.

كما أن مفهوم الشخصية هو أحد المفاهيم العديدة التي يستخدمها المشتغلون بالعلوم الاجتماعية للإشارة إلى الفرد ومن تلك المفاهيم الأخرى الذات والهوية. والمصطلح مشتق من الكلمة اللاتينية Persona (وتعنى: القناع)، وهو يعنى مجموع السمات والخصائص التي تتسم بقدر من الاستقرار، يقدرها ويحكم عليها الآخرون، والتي تميز فردا عن آخر. ويعتقد أن تلك السمات لديها القدرة على الاستمرار عبر الزمان والمكان، وهي تمثل أساسا السلوك الصادر عن صاحبها. ومعنى ذلك أن مصطلح الشخصية يشير إلى الفرد كموضوع (موضوع للتقويم الخارجي على حين يشير مصطلح الذات إلى الفرد كذات كمصدر للفعل والتأمل الذاتي).

والشخصية، شأنها شأن فكرة الاتجاه، قد نبتت أصلا في ثنايا محاولة التنبؤ بسلوك الفرد أو تفسير هذا السلوك، ومن هذا المنطلق يهتم علماء الاجتماع بموضوع الشخصية باعتبارها أحد الأسس الجوهرية التي تقيم الحقيقة الاجتماعية، فالمجتمع يقوم كنسق من

العلاقات المتبادلة بين الأفراد. ولهذا لا يمكن أن نعزل الفرد عن مجتمعه وثقافته، لأنه لا يصبح انسانا إلا من خلال تفاعله مع الآخرين في الجماعة.

وهذا التفاعل في حد ذاته يخضع لقيود الثقافة وضغوطها، وتنميطها ومن هنا يؤكد سوروكين Sorokin على أهمية الشخصية في موضوع علم الاجتماع، لأن الأفراد هم المكونات الأساسية في كل الأنساق الاجتماعية والثقافية وما دام الأمر كذلك فإن شخصياتهم تؤثر من غير شك في إطار الأنماط الثقافية والاجتماعية.

ولا ينكر سوروكين أهمية الوراثة البيولوجية في الشخصية، ولكنه يذهب إلى أن الجانب الاجتماعي الثقافي من الشخصية لا يتحدد عن طريق هذه الوراثة لأنه يصب في قالب معين من خلال الوسط الاجتماعي الثقافي فالفرد يمتص عالمه الثقافي الاجتماعي .

أما البناء الاجتماعي فإنه يعكس مكوناته من الأفراد وأنماطهم الثقافية. ويرى سوروكين أن الدراسات المتعددة التي أجريت في ميادين علم نفس الطفل والتحليل النفسي وعلم الجريمة تؤكد على أن الجانب الأكبر من الشخصية الانسانية يرتكز على دعائم المجتمع والثقافة فالنمو العقلي والذاكرة والتحليل والتعميم، يستحيل دون التفاعل الإنساني، كذلك لا يمكن ان تتراكم الخبرات والثقافة أو تتميز معايير الصواب والخطأ دون تفاعل الأجيال أو من غير توافد الخبرة الجمعية ولم يكن للغة أن تنبثق من غير التفاعل الاجتماعي.

ومما يُلاحظ أن العلاقة بين علم الاجتماع ودراسة الشخصية غالبا ما كانت تتسم بالتضارب، بل ربما شهدت في بعض الأحيان عداء مباشرا. فقد أكد ديوركام على ضرورة الاعتماد على تفسير سوسيولوجي محض لظاهرة الانتحار، مما دفعه إلى رفض الإشارة إلى العوامل النفسية أو الاعتماد عليها، خاصة فيما يتعلق بحالات المرض النفسي. وهناك رأي عام يرى أن موضوع الشخصية يُعتبر من مجالات علم النفس أكثر منه سوسيولوجيا. ومع ذلك، فإن علماء الاجتماع مثل تالكوت بارسونز وماكس فيبر، الذين سعوا إلى دراسة العلاقات الممكنة بين الشخصية والبنية الاجتماعية، مستفيدين من بحوث علماء الأنثروبولوجيا الثقافية التي ربطت بين الثقافة والشخصية، وهي الدراسات التي تأثرت بشكل كبير بنظريات فرويد حول الشخصية. فقد اعتمدوا عليها في تأكيد تشكل الشخصية بفعل العوامل الاجتماعية، ولكن الأهم أنهم اعتمدوا عليها في دراسة التوافق بين سمات الشخصية والتنظيم الاجتماعي سواء كان هذا التنظيم مجتمعا كبيرا أو مؤسسة أو تنظيما أكثر تحديدا من ذلك كشركة تجارية أو جماعة دينية. ويمكن أن يعد كتاب ماكس فيبر "الأخلاق البروتستانتية وروح الرأسمالية" الصادر عام 1905، واحدا من تلك البحوث السوسيولوجية الهامة في هذا السياق.

المراجع:

- طوني بنيت وآخرون، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، ص، 428.

- جوردون مارشال وآخرون، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة محمد الجوهري، المجد الثالث، المجلس العلى للثقافة، مصر، ط1، ص، 848.
- ريم نواري، مفهوم الشخصية بين الثقافة والفعل الاجتماعي، (PDF) كلية العلوم الاجتماعية- جامعة الجزائر -2 أبو القاسم سعد الله. ص، 5.